جامعة الشَّهيد حمَّه لخضر - الوادي

كلِّيَّة العلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة

قسم التَّاريخ

التخصّص: تاريخ المغرب المعاصر	المستوى: سنة ثانية ماستر
التاريـــــخ: الاثنين 18 ماي 2026م	التوقيت:13:15---- 14:45

امتحان السُّداسي الثَّاني في مقياس: تاريخ موريتانيا المعاصر

الإجابة النَّموذجيَّة عن أسئلة الامتحان

السُّؤال الأوَّل: (6 نقاط). أذكر أربعة (4) مصادر أو مراجع تعالج مضامينها تاريخ موريتانيا.

الإجابة: تقبل إجابة الطَّالب المتضمِّنة لعنوان الكتاب(0.75)، واسم مؤلِّفه(0.75). إذا لم تذكر إحداهما، تنقص نصف العلامة.

السُّؤال الثَّاني: (14 نقطة).

مرَّت خطَّة "**كوبولاني**" التي طبَّقها في احتلال "موريتانيا" بعدَّة مراحل، مستنداً فيها إلى نتائج الكشوفات الجغرافيَّة التي انطلقت منذ بدايات القرن التَّاسع عشر (19م). بناء على ما درست، أكتب مقالاً تاريخياً تعالج فيه الإشكاليَّة المطروحة.

ملاحظة: لما نقول مستنداً فيها إلى نتائج الكشوفات الجغرافيَّة التي انطلقت منذ بدايات القرن(19م). هذا يعني أنَّ الإجابة تنطلق من الكشوفات الجغرافيَّة، ولا تكون هي خاتمة الإجابة.

الإجابة:

المتتبّع لتاريخ احتلال القارة الإفريقيَّة، سيجد أنَّ العامل الذي أدى الدُّور الرَّئيس في عمليَّة احتلال القارة، هو حركة الكشوفات الجغرافيَّة، التي كانت المنطلق لتأطير عديد الرَّحلات الاستكشافيَّة، التي ساعدت على تحديد مكامن قوَّة وضعف القارة، ثمَّ التَّخطيط للانقضاض عليها، ومن بين أقطار القارة التي طالتها هاته الرَّحلات الاستكشافيَّة "بلاد البيضان"(موريتانيا) التي أعطيتها "فرنسا" ومنطقة "السِّنغال" بموجب "معاهدة باريس" 30 ماي 1814م التي عُقدت بين دول أوروبا في أعقاب الحروب النَّابليونيَّة. وحتى نتعرف على كيفيَّة احتلال موريتانيا من طرف الفرنسيّين، يمكننا طرح الإشكاليَّة التَّالية: كيف ساهمت حركة الكشوفات الجغرافية في بناء خطَّة كوبولاني لاحتلال موريتانيا؟

وحتى نجيب على هاته الإشكاليَّة، نستعين بالأسئلة المساعدة التَّالية:

1)- متى بدأ اهتمام فرنسا ببلاد البيضان(موريتانيا)؟

2)- ما أهمَّ الرَّحلات الاستكشافيَّة التي طالت هاته البلاد؟ وما أهدافها؟

3)- ما الأسس التي بنى عليها كوبولاني خطَّته لاحتلال موريتانيا؟ وما المراحل التي مرَّت بها؟

فور انتهاء "الحروب النَّابليونيَّة" التي أشرنا إليها سابقاً، استأنف الفرنسيّون رحلاتهم الاستكشافيَّة نحو "القارة الإفريقيَّة"، خاصة المناطق الدَّاخليَّة، ومن ضمنها "البلاد البيضانيَّة" (الموريتانيَّة)، مستندين في ذلك إلى مجموعة أهداف مختلفة المرامي، ذاتيَّة تخصُّ "الرَّحَّالة" و"المكتشفيّين"، وعليا تخصُّ "الدَّولة المُستعْمِرة"، وهي: "إشباع الفضول العلمي"، "التَّبشير الدِّيني"، "مكافحة العبوديَّة واسترقاق البشر"، "الغزو"، "الاستعمار واحتلال أراضٍ جديدة" .

لقد مرَّات الرَّحلات الاستكشافية الفرنسيَّة لموريتانيا طيلة القرن(19م) بثلاثة أطوار، **الأوَّل**: فيه المستكشف "كاسبار – تيودور موليين"(Gaspard- Théodore Mollien) (1817/1816م). ثمَّ "رني كايي" (René Caillié) (1824م). ثمَّ "جان- فرانسوان كاي" (Jean- François Caille) (1843م). ثمَّ "أنْ رافنل" (Anne Raffenal) (1847/1844م). وكل هؤلاء الرَّحالة والمستكشفين زاروا قبائل "التَّرارزة" والبراكنة" ومحطَّات النهر، لجمع معلومات عن حياة "السُّكَّان البيضان" ونمط حياتهم وعلاقاتهم بـِ"الزُّنوج" ووصف التَّقاليد والمؤسَّسات والأجناس والأراضي ونباتاتها وقد خلصت رحلاتهم بتوصيات، هي:

- ✓ عدم الضَّغط على السُّكَّان أو السيطرة عليهم قسراً.
- ✓ انتهاج سياسة الاستقطاب.
- ✓ الاعتماد على الوثنيّين واللامبالين.
- ✓ إرسال المبشرين إلى المنطقة .

أمَّا الطَّور الثَّاني: فقد جاء مع الجنرال "لويس فيدرب ليون سيزار" (Louis Faidherbe Léon Cézar) الذي عيِّن والياً على "السَّنغال" سنة 1854م ، والذي دشَّن مرحلة جديدة من الاكتشافات في "بلاد البيضان"(الموريتانيَّة)، قامت على السُّرعة والتَّنظيم الجيد، كما اتَّسمت بالشموليَّة لمختلف مناطق "المجال الموريتاني". ومن بين مكتشفيها "ايجن ماج"(Mage) (1860/1859م). و"فلكران"(G. Fulcrand). و"هنري فينصان"(Henri Vincent)، وغيرهم. وما يمكن إجماله، أنَّ هذه الفترة فيما بين 1854 – 1861م، كان جلُّ المستكشفين فيها ضبَّاط عسكريُّون، وقد جاءت اكتشافاتهم تنفيذاً لأوامر عسكريَّة وسياسيَّة تسلَّموها من قادتهم، وفق رؤيَّة ومسلكيَّة جغرافيَّة مُحدَّدة سلفاً، لخدمة مشاريع مستقبليَّة، إلاَّ أنَّ هذه الاستكشافات توقَّفت لعقدين من الزَّمن، بسبب ظهور "الأمبراطوريَّة الألمانيَّة"، حيث أصبحت كلُّ "أوروبا" تخشى "بسمارك" ، الذي هزم "فرنسا" واحتلَّ بعض أراضيها وفرض عليها تعويضات.

بعد فترة التَّوقُّف المشار إليها سابقاً، انطلقت حركة الاستكشافات من جديد سنة 1880م في طورها الثَّالث: برحلة قام بها "بول صوليي" (Paul Soleillet). ثمَّ تبعه المستكشف "شارل صولير" (Charles Soller). كما استعانت السُّلطات الفرنسيَّة بـِ"سان لويس" بالصَّحافيّين، منهم الصَّحفي: "ليون فابير" (Léon Fabert) الذي كان يشتغل في جريدة "لوفيقارو"(Le Figaro)، إذْ أنَّه أوَّل صحفي يُستغلُّ في استكشاف "المجال البيضاني"، لقد كُلِّف بزيارة "الجنوب الغربي" لـِ"بلاد البيضان" عدَّة مرَّات، لأجل دراسة هذه المنطقة في نطاق تحضير بسط السَّيطرة الفرنسيَّة عليها بشكل تدريجي، وكان أوَّلها سنة 1889م للقيام بمهمَّة في "السَّواحل الجنوبيَّة الغربيَّة الموريتانيَّة" بمحاذاة "إمارة التَّرارزة".

وفي سنة 1891م عاد هذا الصَّحفي المستكشف إلى المنطقة لأجل القيام برحلات داخل "البلاد البيضانيَّة"، فتمكَّن من عبور مناطق "إمارة التَّرارزة" و"إينشيري" وزيارة أجزاء من "أدرار". وقضى ستَّة(6) أشهر متجوِّلاً عبر "الصَّحراء البيضانيَّة"(الموريتانيَّة)، والتي نشرها في دراسة تحت عنوان: "رحلة داخل بلاد التَّرارزة والصَّحراء الغربيَّة" .

أمَّا ثاني صحفي وخامس مستكشف في هذه المرحلة فهو "قاستون دوني" (Gaston Donnet)، الذي كلَّفته وزارتا المستعمرات والتَّربية سنة 1893م بالقيام بمهمَّة في الصَّحراء، تستهدف دراسة وسائل وطرق الدُّخول إلى صحراء "بلاد البيضان"(موريتانيا)، وكان مقرَّراً أنْ يجتاز في هذه الرِّحلة مناطق "إمارة التَّرارزة"، ويتعرَّف على "أدرار" ويتجوَّل في "المراكز الإسبانيَّة" بـ"وادي الذَّهب"، ثمَّ يتوجَّه إلى "تندوف" و"وادي درعة" جنوب "المغرب". ويبدوا أنَّه برنامج طموح من خلال خطِّ المسير المرسوم له .

بعد هذه الفترة من المحدوديَّة في المعلومة ونوعيَّة الدِّراسة، ارتأت السُّلطات الفرنسيَّة أنَّ تُدشِّن حقبة جديدة يكون عمادها علماء وباحثين مختصِّين في مجال الرِّحلة والاستكشاف، كان أوَّلهم "بول بلانشي" (Paul Blanchet) 1900م، وبعده الأستاذ "جان أبل كروفل" (Jean Abel Gruvel) 1903م، أمَّا الأستاذ الثَّاني فهو الجيولوجي "رني شارل ماري شودو" (René Charles Marie chudaeu)، الذي عُيِّن مُلحقاً بوزارة المستعمرات، وعُهد إليه بالعديد من المهام أشهرها الرِّحلة العلميَّة التي قادته صحبة زميله "كروفل" عبر "السَّاحل الموريتاني"، ونشرت دراستهما سنة 1908م.

فكلُّ هاته الرَّحلات هي التي وفَّرت الغطاء المعلوماتي لكوبولاني، فكيف استخدمها لاحتلال موريتانيا؟

كُلِّف "كوبولاني" في شهر نوفمبر 1898م من طرف والي السُّودان بمهمَّة تفاوضيَّة تقوده إلى "السُّودان الفرنسي"(مالي) وإلى "السَّاحل الجنوبي"، من أجل الالتقاء مع "قبائل البيضان" وكذا "الطَّوارق" القاطنين شمال "السُّودان الفرنسي"(مالي)، والقيام بدراستهم ودراسة واقعهم من وجهة نظر سياسيَّة، وجعلهم يعلنون خضوعهم بطريقة سلميَّة.

انطلقت بعثته، فكان هدفه الأوَّل "أولاد علُّوش" و"مشظوف"، حيث دارت بينه وبين زعمائها مفاوضات ببطء وحذر بواسطة الرَّسائل والرُّسل، فأعلن في أعقابها "أولاد علوش" خضوعهم أوَّلاً، ثمَّ تلا ذلك ابتعاث رسل إلى كلٍّ من: "ولاته" و"تيشيت" و"أدرار" التي أعلنت خضوعها لـ"فرنسا" بعد أنَّ تمَّ اقناعهم بجدوى الخضوع لهذه الأخيرة، واطلاعهم على الدَّوافع الإنسانيَّة التي تدفع "فرنسا" إلى مواصلة مسيرتها نحو الشَّمال ، بغية حماية هذه القبائل والحفاظ على تجارتهم، وبالتَّالي أصبحوا ملزمين بدفع رسوم الحماية .فبفضل هذه الحنكة السِّياسيَّة والخبرة بكلِّ أشكال وسائل الدِّعاية والإغراء، نجح "كوبولاني" في إخضاع الكثير من القبائل التي زارها ، ليواصل مهمَّته إلى "بلاد الطَّوارق" حيث وصل إلى "تمبكتو" ثمَّ "بابنا" ثمَّ زار القبائل الرُّحَّل في "إقليم أزواد" أين أكَّد على دوافع "فرنسا" المتمثِّلة في تثبيت الأمن والسِّلم بالمنطقة .

بعد أنَّ اطلع على أحوال قبائل "الحوض" و"السَّاحل الإفريقي" و"السُّودان الفرنسي"، ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم، وبعد إنهاء المهمَّة المكلَّف بها سنة 1899م، قدَّم "كوبولاني" تقريراً مُفصَّلاً عن مهمَّته، حيث تضمَّن

التَّقرير تنبيهاً للحكومة الفرنسيَّة ووزراة المستعمرات لأهمِّيَّة ضمِّ "موريتانيا". وقد تضمَّن تقريره نتيجتين مهمَّتين هما:

- ✓ مُخطَّط شامل لتنظيم "القبائل الموريتانيَّة".
- ✓ استراتيجيَّة منطقة "أدرار" وضرورة إنشاء ما يُسمى بـِ"**موريتانيا الفرنسيَّة الغربيَّة**" التي تضمُّ كلّ القبائل تحت قيادة واحدة.

فبالاستناد إلى هذه الرؤيَّة وبعد أنْ أنشئت "المصلحة الخاصة بشؤون البيضان"(الموريتانيين)، وأسندت مسؤوليتها إلى "كوبولاني"، الذي بادر إلى إنشاء مصلحة إعلاميَّة لدعم عمله، ومع تسارع الأحداث بتعينه أميناً عاماً للمستعمرات قبل الالتحاق بـِ"سان لويس" في شهر أكتوبر 1902م بصفته مفوَّضاً عاماً على "موريتانيا"، ومع اكتمال إعداد الآليَّة القانونيَّة والإداريَّة لاحتلال البلاد أعلن عن أفكاره، وكذا برامجه ووسائله لنجاح خطَّته.

حيث قدَّم "كوبولاني" برنامجاً متكاملاً لفرض الحماية على "موريتانيا"، استند فيه إلى النِّقاط التَّالية:

1/- توحيد "قبائل البيضان" في مجموعة متجانسة توفِّر سنداً لإدارة الاحتلال الفرنسيَّة.

2/- تجنُّب عداء "المغرب" الذي يَدعم سرِّياً من طرف القِوى الأوروبِّيَّة.

3/- تنظيم جباية الضَّرائب في مختلف مناطق "قبائل البيضان" ابتداءً من سنة 1903م.

4/- ترجيح كفَّة "الزَّوايا" على كفَّة "بني حسَّان"، نظراً لمكانتهم الدِّينيَّة والسِّياسيَّة القويَّة في "المجتمع البيضاني"، وهذا بهدف بسط نفوذه على كامل "التُّراب الموريتاني".

5/- احترام النِّظام الاجتماعي المحلِّي السَّائد في "موريتانيا" الذي مكانة الأمراء ونوَّبهم، وهذا لتعزيز الخصوم في "الأسر الموريتانيَّة" من خلال بذر الفتن فيها.

6/- سياسة "فرِّق تسد" وتطبيقها في الأسر المحاربة أو الدِّينيَّة، التي تتنافس على زعامة المجموعة.

7/- تبنِّي استراتيجيَّة عسكريَّة تعتمد على "سياسة هادئة"، أساسها "سدُّ المنافذ".

8/- اجتياح موريتانيا من الجنوب بدلا من دخولها من الشَّمال.

ولتطبيق خطَّته هذه لجأ إلى الوسائل التَّالية:

1/- المرونة في المواقف وسياسة التَّغلغل في البُنيان الاجتماعي والسِّياسي والفكري "للمجتمع الموريتاني"، قبل الإقدام على احتلاله.

2/- سياسة "فرِّق تسد" التي شرَّعتها الوضعيَّة الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة في البلاد، مما ساهم في إنهاك "المجتمع البيضاني" وضعَّف مردوده الجهادي .

3/- الحملات العسكريَّة لردعت "فصائل المقاومة" المنتشرة على كامل "الوطن البيضاني".

4/- الامتزاج العرقي، حيث نصح قدَّ "كوبولاني" نصيحة لرجاله بالسَّعي للزواج من نساء "موريتانيا".

أمَّا التَّطبيق الميداني لهذه الخطَّة فقد مرَّ عبر مرحلتين، هما:

1)- طور الإخضاع السِّلمي والسَّيطرة غير المباشرة، والذي انتهى باحتلال "قبيلتي "التَّرارزة" سنة 1903م، و"البراكنة" سنة 1904م

2)- وطور الإخضاع العسكري، والذي انتهى باحتلال قبائل "تكانت" سنة 1905م، و"أدرار" سنة 1909م، و"تشيت" سنة 1911م.

وما يمكن إجماله، أنَّ خطَّة "كوبولاني" ما كان لها لتنجح، لولا نتائج الكشوفات الجغرافيَّة التي قامت بتشريح المجتمع البيضاني للمنظومة الاستعماريَّة الفرنسيَّة، ناهيك على السِّياسات الفرنسيَّة المتَّبعة منذ منتصف القرن(19م) لأجل إضعاف البنية القياديَّة للمجتمع الموريتاني، من خلال سياسات المفاضلة بين القيادات والامتيازات داخل البيت القيادي الواحد، وسياسة فرق تسد التي مزَّقت لحمة المجتمع الموريتاني، وجعلت لديه القابليَّة الاستعمار فتمَّ احتلاله والتي أعلن عنها بدأً من سنة 1903م.

ملاحظة ثانية: كلَّ ما هو مؤشَّر بالأحمر يجب أنْ تتضمَّنه الإجابة، إمَّا تصريحاً أو تلميحاً.